الانسجام النصي في حكم ووصايا كتاب لباب الآداب لأسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)

الباحث: سليم محمد جواد مشكور أ. د. حسين عبيد شرَّاد الشمَّري

جامعة القادسية/ كلية الآداب

إيميل الباحث: Alaaolv@gmail.com

الخلاصة :

حقق الانسجام في حكم ووصايا كتاب لباب الآداب لأسامة بن منقذ ميزة الإشارة غير المعلنة، إلى مدى ترابط المقاطع والعبارات في ما بينها، وأسهم انسجام النصوص، وجمع أجزائها المتباعدة، دون أدوات شكلية، في بيان القدرة العلمية، والطاقة المعرفية، التي يتمتع بها **أسامة بن منقذ**، عن طريق اختبار النصوص الحكمية والوصائية في كتابه.

وبيَّن البحث مفهوم الانسجام عند القدماء والمحدثين، ليثبت وجود ذلك المعيار في الدرس البلاغي القديم، وإن لم يكن بالقواعد التي وضعها علماء النصيَّة المحدثون، ولكنه بالمستوى الذي يشير إلى أن الدارس العربي القديم تنبه إلى مضمون القاعدة العامة لفكرة الانسجام النصي الحديثة، بل وأكد على خاصية الترابط القواعدي، والفكري، والمعنوي، التي دعا لها ذلك المعيار.

حقق البحث عمل مقارنة تفصيلية بين معنى الحبك (الانسجام) في الدرس العربي القديم، وبين الدرس النص الحديث، ثم فرق بين آراء علماء النصية المحدثين، من العرب، والغربيين، ليتوصل إلى ترجيح صائب، هدفه التحقيق والتحليل، للوصل إلى إثبات تاريخي، يدافع عن النص التراثي القديم، وسط زحمة الحداثة الماكناتية، التي تحاول تأطير العمل الأدبي، وإرغامه على الدخول، في قوالب معايير علم النص، التي ستشغل واضعه في تطبيقها، قبل أن يبدع بالتنفيس عن بنيات أفكاره.

الكلمات المفتاحية : الانسجام النصي، أسامة بن منقذ، التماسك المعنوي، الالتحام.

Textual harmony in the rulings and commandments of the book "Lubab al-Adab" by Usama bin Munqidh (d. 584 AH)

Researcher: Saleem Mohammed Jawad

Prof. Dr. Hussein Obeid Sharrad Al- Shammary

Abstract:

The harmony that will be achieved in this research in the rule of the book "Lubab al-Adab" by Osama bin Munqidh achieved the advantage of an unspoken indications which sections and phrases are connected, in which and the harmony of texts and collect their separated parts, without formal tools, in explaining the scientific ability and cognitive energy that Osama bin Munqidh has, through checking the rules and texts in his book.

The research explained the concept of harmony according to the ancients and moderns, to prove the existence of that standards in the ancient rhetorical lesson, even if it is not at the rules set by modern scholars, but it indicates that the ancient Arab researchers gave attention to the general rule of the modern idea of harmony, and emphasized the grammatical characteristic, intellectual, and moral of that standard.

The research achieved a detailed comparison between the meaning of plots (harmony) in the ancient Arabic lesson, and the modern lesson, then differentiated between the opinions of modern, Arabs and Westerners, to achieve correct investigation and analysis, defending The ancient heritage text, through modernity, before creativity in putting structures of his thoughts.

Keywords: Textual harmony, Osama bin Munqidh, Moral cohesion, docking

مُدخل:

غير علم النص حينما وضعت قواعده، وجهات الناظر في النصوص الأدبية، بأنواعها كافة، ووسع من توجهات منظريها؛ لأن الثاني سيتجاوز حدود الترتيب الأبتثي لقواعد مفردات الجمل، عن طريق وضع مبادئ الترابط العلائقي بين العبارات، وتوسيع دائرة الانتماء في ما بينها. وسيعمل الأول على بيان خاصيَّة التآخي بين الجمل والعبرات، واختبارها وفقاً لمفاهيم النصيِّة التي جاء بها **دي بوجراند**، ليحكم بعد ذلك على مقدار نصيتها.

وعليه كان من الضرورة في هذا البحث؛ عرض التعريفات النصية الحديثة لمعيار الانسجام، وتوضيح خطوط القول التي جاء بها علماء النصية، أمثال **دي بوجراند، وفان دايك، وهاليداي ورقية حسن**، مع طرح موجز لآرائهم التي تُدعِّم القول بمفاهيم الترابط النصي بين العبارات، وبيان توجهاتهم في احتساب كمية الانسجام داخل العمل الأدبي.

يتضح التباين العام بين مفهوم الحبك (الانسجام) في الدرس التراثي، وبين مفهومه في الدرس الحديث، فليس هنالك خلاف في معناه عند القدماء، وإنما الخلاف في التسمية عند علماء النصية، أو في الاتفاق على مصطلح محدد لهذا المعيار. ولكنَّهم في ذات الوقت يتفقون على أن الانسجام؛ خصيصة من خصائص ديمومة النصوص، وأساس من أساسيات بقائها، لتصبح من الخطابات العابرة للزمن والمتجددة لدى القارئ على مر العصور.

مفهوم الانسجام

أولاً: الانسجام لغةً:

ذهب **الخليل** (ت ١٧٠ هـ) إلى أن: ((الحباك: رباط الحظيرة بقصبات تعرض ثم تشد كما تحبك عروش الكرم بالحبال. واحتبكت إزاري: شددته. والحبيكة: كلُّ طريقة في الشَّعر وكل طريقة في الرمل تحبكه الرياح إذا جرت عليه)) [١]. في حين يرى **أحمد بن فارس** (ت ٣٩٥ هـ): ((الحاء والباء والكاف أصل منقاس مطرد؛ وهو إحكام الشيء في امتداد واطراد.... وحبك السماء في قوله تعالى: ((**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ**)) [٢]. فقال قوم: ذات الخلق الحسن المحكم. وقال آخرون: الحبك الطرائق،... ويراد بالطرائق طرائق النجوم)) [٣]. وعند **ابن منظور** (ت ٧١١ هـ): ((الحبك: الشدُّ. واحتبكَ بإزاره: احتبى به وشده إلى يديه. والاحتباك بالباء، هو شد الإزار. وحكي عن ابن المبارك أنه قال: جعلت سواك في حُبكي أي في حُجزتي..... والمحبوك: المحكم الخلق، من حبكتُ الثوب إذا أحكمت نسجه)) [٤].

يرى الباحث اتفاق المفهوم اللغوي لمعنى (الحبك) في المعاجم العربية القديمة، فجميعها تراه بمعنى الترابط والتقارب، مع الإشارة لمبدأ العلاقة الجامعة بين الاطراف المكونة للشيء المحبوك، الذي تتعالق جزئياته بعضها مع بعضها الآخر، فلا يُستغنى عن أحد الأطراف حتى لا ينخرم كمال الصورة، وينعدم قوامها، وهذا بحد ذاته المفهوم الأساس، والقواعد الرئيسة لمعيار الحبك في الدرس النص الحديث، التي تطبق على النصوص، لبيان مدى أهليتها لتكون نصوصاً.

ثانياً: الانسجام اصطلاحاً:

اختلف علماء النصية بوضع مسمى ثابت لمفهوم الحبك، وتباينت مسمياتهم، مع توحدهم واتفاقهم في المعنى الذي يقوم به المفهوم بصورة عامة، **فالالتحام** [٥]، **والانسجام** [٦]، **والتماسك المعنوي** [٧]، **والتقارن**[٨]،

والحبك [٩]، جميعها تدرس مفهوم العلاقات التي تشترك في عملية ترابط النصوص دلالياً، وتشرح علاقته بالمتلقي، والسياق الذي ورد فيه؛ لأن الحبك معيار متخصص بفهم الاستمرارية الدلالية المتحققة في عالم النص[١٠].

حيث وقف علماء العربية قديماً على مفهوم الحبك، بعدِّه من المقومات النصية المشتركة، التي تهتم بالجانب الدلالي للنصوص، وظهرت في دراساتهم مفاهيم بلاغية مستحدثة تشاطر (مفهومَ الحُبك) المعنى نفسه، مثل: الاتصال، والامتزاج، والالتئام، والالتحام، والتلاحم، والاتساق، والائتلاف، والاقتران، والارتباط، والملائمة، والمناسبة، وغيرها [١١].

حيث أثبتت الكثير من الدراسات وعي القدماء بأهمية تلاحم النصوص، وضرورة انسجام عباراتها، ومن ذلك ما أشار إليه **ابن طباطبا العلوي** (ت ٣٢٢ هـ) ؛ بوجوب إتقان صناعة الشعر، وأكد على أن يكون مقبولاً، ومستحسناً، ومتقناً باللفظ وبالمعنى، ليتقبله السامع، ويألفه شكلاً، ويأنسه به روحياً [١٢]. وذهب **ابن أبي الإصبع** (ت ٦٥٤ هـ) إلى أن : ((الإنسجامُ؛ هو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقعٌ في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع)) [١٣].

أما في منظور **دي بوجراند** فإن الالتحام: ((يتطلبُ من الاجراءات ما تتنشطُ بهِ عناصر المعرفةِ لايجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الانسانية)) [١٤].

ويذهب **محمد خطابي** إلى أن الانسجام أوسع اعماماً من الاتساق؛ لأن بوساطته ينصرف القارئ إلى البحث عن عوامل الترابط الداخلية، ومجموع الألفاظ المكونة للنص، وعن ماهية العلاقات بين تلك المفردات، التي ينتظم عن طريقها الخطاب، فالتحقيق في باب الانسجام (الحبك)؛ يكون في المعنى غير الظاهر للنصوص، أما في باب الاتساق (السبك)؛ فالدراسة تصف ما هو متحقق فعلاً (أو غير متحقق)[١٥]. وهذا هو دور المتلقي (القارئ) الذي شرحه **فان دايك**؛ بأن يقوم ببيان وتأويل المعاني العامة للنص، على وفق مجموعة من الأسس والقواعد المنطقية، التي تركز على الدلالات، من أجل توضيح عمليات الترابط النصي والتماسك الوظيفي بين الوحدات الكبيرة [١٦].

فللحبك أهمية كبيرة، كونه أحدى المعايير التي تتبَّع وسائل الاستمرار الدلالي ورصدها، ويعمل على إيجاد وتوضيح العلاقات التي تقوم بالترابط المفهومي، فهو كما أشار **هاليداي ورقية حسن** متصل بالمعنى دائماً؛ كونه يشرح علاقة المعنى بين (المتضامَّينِ)، اللذيَن كشف عنهما معيار الاتساق [١٧]. فيتحدد عن طريقه مجموعة العلاقات البلاغية التي تتعدى المستوى المعجمي والنحوي والصوتي إلى المستوى الدلالي، الذي يساعد بأن يكون النص مفهوماً ومُستخدماً، ويظهره بلباس الوحدة والقوة؛ لأن المستوى التركيبي يساعد القارئ في التعرف على المستوى الدلالي، الذي بدوره يساعد في تكون وحدة النص [١٨].

ولجميع تلك العلاقات وظائف تفاعلية في جميع النصوص اللغوية ولها دور إخباري مميز فيها؛ لأن وجودها يحقق مراد القارئ للتوصل إلى المعاني التي يهدف إليها الكاتب، فليس هنالك نص خالٍ من رسالة موجَّهة إلى متلقٍ معين، ويحمل معلوماتٍ تتراكم وتتشابك في ما بينها، وتغيب في بعض الأحيان مواطن فهمها، فيلجئ القارئ عن طريق تطبيق قواعد تلك العلاقات، إلى التحليل والتفسير والتأويل لفك شفرات النص وتوضيح دلالاته [١٩].

وأكدت الدراسات النصية على بيان تلك العلاقات، التي تسهم في ترابط مفاصل النص، وجمع الأجزاء المتباعدة فيه، دون الحاجة إلى أدوات أو وسائل شكلية، وهي على النحو الآتي [٢٠]:

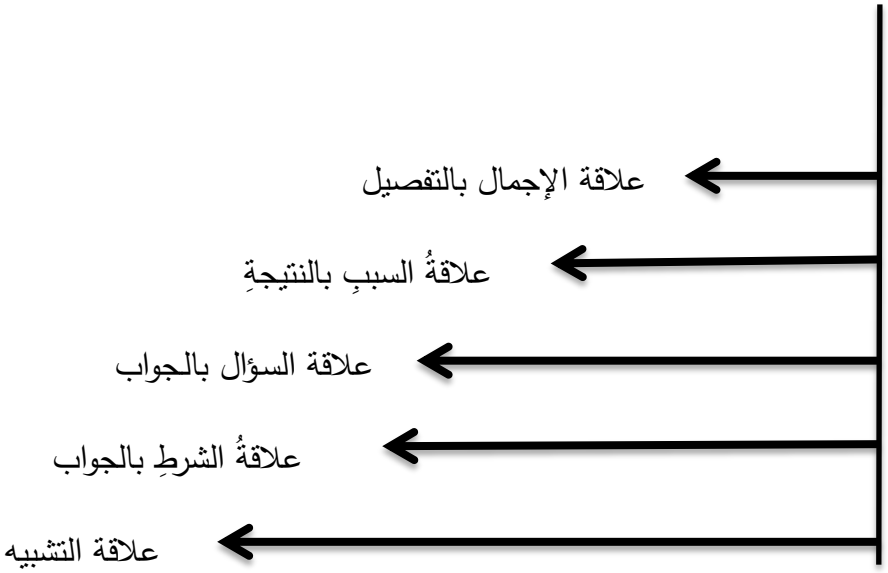

١- علاقة الاجمال بالتفصيل:

يرى **محمد خطابي** بأنها من أهم العلاقات البارزة في هويات النصوص، مفادها ضمان ترابط المقاطع الرئيسة داخل النص، عن طريق توصيل سعة المعنى بين مقطع سابق، وآخر لاحق [٢١]. أي القيام بإيراد مجموعة من المعاني على سبيل الاجمال، ومن ثم القيام بتفصيلها وتفسيرها، أو تخصيصها، من أجل التوصل إلى ضمان اتصال أجزاء النص بعضها ببعض [٢٢]. إذ تقوم علاقة الاجمال بالتفصيل، وفقاً للبنية المقدمة، بقضاياها المتصلة، بتحليل ذلك الاتصال، عن طريق بيان المعنى المكثف في العبارة الأولى، في عبارة تليه مباشرة، تفصل القول فيها وتفسره. ولعلَّ القصد من ((تفصيل المجمل يمثل دوران المعاني وتكررها؛ لتثبيتها في

الذهن، مرة بإجمال والأخرى بتفصيل، أو لربط بعضها ببعض، فهو يدعم تماسك النص، ويثبت من أفكاره وموضوعاته)) [٢٣]؛ لأن الهدف من علاقة الاجمال بالتفصيل هو تحريك العقل بما يحمله من مقومات فكرية، ومحصِّل معرفي، من أجل الكشف عن المعنى المجمل، وتحليله إلى عناصر جزئية صغيرة، تكوِّن عند تجميعها فكرة النص الكلية [٢٤].

ومن أمثلتها في لباب الآداب قوله تعالى: ((**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)) [٢٥]. فعلاقة الاجمال في الآية المباركة تبدأ بالتفصيل، الذي يفسر القول في (الخاسرين) ثم الاجمال، الذي يساعد في ربط مفاهيم النص، عن طريق عودة القارئ لتكرار القراءة التي أُجملت في كلمة (الخاسرون)، وهو بحد ذاته حبك للنص وفقاً لمبدأ العلاقة بين الاجمال والتفصيل.

ومن أمثلتها أيضا في لباب الآداب قوله تعالى: ((**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**)) [٢٦]. حيث يُذكِّر **الله** سبحانه وتعالى، **عيسى ابن مريم** (عليهما السلام) بنعمته التي منَّ به عليهما بكلمة تسمى كلمة الاجمال هي: (نعمتي)، ثم يفصل بعدها القول بتلك النعمة، وعلاقة التفصيل في بيان المجمل هي علاقة ترابط نصي، هدفها تكوين نسق سياقي مترابط بين مفاصل النص؛ لأجل حبكها.

وورد أيضاً ما يُدرج تحت هذه العلاقة في لباب الآداب قول **النبي محمد (صلى الله عليه وآله)**: ((**اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هنَّ ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم**

الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) [٢٧].

فمجمل القول هو (السبع الموبقات)، ثم ورد ما بعده تفصيل تلك الموبقات التي نهى عنها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، ليتحقق حبك النص بوساطة تلك العلاقة.

٢-علاقة السبب بالنتيجة:

من العلاقات المهمة في حبك النص، إذ تقوم بالربط بين عدد من الجمل، متجاوزة بذلك الربط أفق حدود الجملتين، الأمر الذي يساعد في عملية تجزئة النص وتقسيمه إلى تتابعات، تتعالق في ما بينها مكوِّنة النسيج الخطابي، فتعمل على تأصيل روابط النص بسياقه، عن طريق إحالته إلى الخارج [٢٨]. فتعطي بذلك معقولية تامة لعملية تتابع المعلومات، من أجل تدعيم قوة البناء المنطقي للنصوص، فالمستويات التي تظهر فيها علاقة السبب بالنتيجة، تكون في أعلى مستويات الأفكار العامة والقضايا الكبرى، على شكل معلومات متراكمة ومكثفة في موضع معين، يفسر وجودها تفصيل القول التالي لها[٢٩].

وتعد تلك العلاقة من أبرز العلاقات الدلالية المؤثرة في المتلقي، كونها من العلاقات التتابعية، التي يقوم عن طريقها الكاتب بجعل الأحداث والأفعال والأفكار تتسلسل داخل العمل النصي، دون الاكتفاء بالتلاحق العادي أو الطبيعي فيها، ويكون بعضها سبباً في حدوث الآخر، ويسمي أحد الافعال (سبباً) ويسمي التالي (نتيجة) [٣٠].

ومن أمثلتها في لباب الآداب ما رواه **أسامة بن منقذ عن عبد الله بن الحسن بن الحسين** (عليهم السلام) قوله لابنه **محمد: ((يا بنيّ، احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان عدواً؛ فيوشك أن يورطك الجاهل بمشورته في بعض اغتراره، فيسبق إليك مكروه فكر العاقل. وإياك ومعاداة الرجال فإنها لن تُعَدِّيك مكرَ حليم أو مفاجأةَ جاهل))** [٣١].

فسبب التحذير من (مشورة الجاهل، ومشورة العاقل إذا كان عدواً)؛ لأن كليهما يسببان الخديعة، ويعرضان صاحبهما لما لا تحمد عقباه. وفي الوقت نفسه سبب التحذير من (معاداة الرجال)، حتى يتعدى بعدمها مكر الحليم ومفاجئة الجاهل. ربطت تلك المفاهيم من العلاقات بين السبب ونتيجته، مفاصل النص، وساعدت في إظهاره بأكمل الوجوه.

وفي موضع آخر من لباب الآداب، وصى رجل حكيم ابنه فقال: ((**يا بنيّ، إن المدبر لا يوفق لطرق المراشد. فإياك وصحبة المدبر؛ فإنك إن صحبته علق بك إدباره، وإن تركته بعد صحبتك إياه تتبعت نفسكَ آثاره**)) [٣٢]. يحذر الحكيم، ولده من مصاحبة المدبر؛ لأن نتيجة مصاحبته تؤدي إلى عواقب وخيمة، فيتأثر بإدباره، وتتعلق نفسه بآثاره، وهذه العلاقة من المفاهيم النصية الرابطة لمعاني النصوص دلالياً، التي تساعد في استمراريتها، وتشجع القارئ على تتبع تفرعات تلك النصوص للتوصل إلى نتائجها.

ومن أمثلة تلك العلاقة أيضاً ما ذكره **أسامة بن منقذ** إنه ((**قيل لملك قد زال عنه ملكه: ما الذي سلبك ما كنت فيه ؟ قال: دفع عمل يومٍ إلى غدٍ، والتماس عذرٍ بتضييع عمل**)) [٣٣]. فسبب سلب ذلك الملك لملكه، هو تأخره في القيام بأعماله، وتحججه بالأعذار التي تضيع عليه القيام بواجباته. فعلاقة الأسباب بالنتيجة مُحاكة في النص بأسلوب ترابطي متقن، يضفي عليه معالم الإحكام التام، دونما يكون مرفوضاً، أو غير مستساغ.

٣- علاقة السؤال بالجواب:

تسهم علاقة السؤال بالجواب بشكل شبه أساسي في بناء موضوع النص، وتقوم بمجموعة من الوظائف داخله، لما لها من دور أساسي في عملية بناء الحوار داخل الخطاب، بوساطة مجموعة من أدوات الاستفهام مثل: (هل، و أين، وما، ومن .... إلخ)، فالربط يقوم على أساس ربط دلالة السؤال بجوابه؛ لأن كليهما يحاكي موضوعاً واحداً [٣٤]. وقد يكون السؤال لمقصد ومغزى غير الاستفهام، بل لأجل لفت انتباه المسؤول إلى

المسؤول عنه، وفي بعض العلاقات يكون الجواب هو المقصد من السؤال، لما له من أثر بارز في تقويم سياق النص [٣٥].

ومن أمثلتها في لباب الآداب ما أورده **أسامة بن منقذ** عن **النبي محمد (صلى الله عليه وآله)**: **((أنه سُئل أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال: الصلاة لوقتها، وبرُّ الوالدينِ، والجهاد في سبيل الله تعالى))** [٣٦]. العلاقة بين السؤال وجوابه في الحديث الشريف، علاقة حتمية لا يمكن أن تكون بغير تلك الإجابة، فالنبي (صلى الله عليه وآله)، فصل القول بأفضل الأعمال، وأعلاها منزلة، وهذه الإجابة تُعد علاقة نصية ترابطية لا يمكن التفريق فيها، فعن طريقها ورد النص محكماً، وبوساطتها جاء محبوكاً.

ومثال هذه العلاقة أيضاً ما رواه **أسامة بن منقذ** إنه **((قيل لأردشير** [٣٧]**: من الذي لا يخاف أحدا ؟ قال: الذي لا يخافه أحدٌ. فمن عدل في حكمه وكفَّ عن ظلمه نصرهُ الحقُّ، وأطاعه الخلق، وملك القلوب، وأمن الحروب. وإن أول العدل أن يبدأ الإنسان بنفسه، فيلزمها كلَّ خلَّة زكيَّةٍ، وخصلةٍ مرضيَّة، ومذهبٍ سديد، ومكسبٍ حميد، ليسلم عاجلاً ويسعدَ آجلاً))** [٣٨]. فعلاقة السؤال بالجواب تساعد في حبك النص، عن طريق ربط العبارتين دلالياً، لتسهم في بناء حوارٍ داخلي نصي، يتشوق القارئ عن طريقه لقراءة الجواب، وفهم مرجعيته للسؤال، ليحتكم بعدها لمخزونه اللغوي في عملية بيان مفاصل تلك العلاقة ومدى قبولها.

٤- علاقة الشرط بالجواب:

وهي من العلاقات الدلالية الثانوية، تبرز فائدتها، عن طريق القيام بربط العناصر الخاصة بالجملة الواحدة، أو مجموعةٍ من الجمل، لتشكيل حزمة من الدلالات التي تسهم في تماسك مفاصل النص من جهة، والتوصل إلى مقاصد الكاتب من جهة أخرى [٣٩]. ويوفر أسلوب الشرط (علاقة الاقتضاء) وهي ذات طاقة حجاجية عالية؛ لأنها علاقة شكلية بالأساس، مفادها أن يوفر المتكلم مع ما يأتي به من شرط (أداة شرط،

وجواب شرط)، بحيث تصبح العلاقة بين الألفاظ تحت هذه العلاقة؛ نوعاً من التلازم النصي والترابط المحتم، اللذين يسهمان في عملية توسيع النص، عن طريق تعدي الجملة الواحدة [٤٠].

نورد من أمثلتها في لباب الآداب قوله تعالى: ((**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)) [٤١]. الشرط وجواب الشرط في الآية المباركة، معادلة موضوعية فلا يتحقق الثاني دون تحقق الأول، وهذه من مميزات الشرط في اللغة العربية، لم يتبدل هذا المفهوم في قراءة علماء النص، وأصبح من مقومات ترابط النصوص، شريطة أن تنسجم الإجابة مع شرطها، لإتقان مفاصل النص، وتقوية ترابطها.

ومن أمثلة علاقة الشرط بالجواب ما نقله **أسامة بن منقذ** قولاً لأحد الشعراء: **(الطويل)**

حياءك فاحفظه عليك فإنما يدلُّ على فضل الكريم حياؤهُ

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ [٤٢]

حبكت علاقة الشرط بجوابة النص، وربطت بين مفهومي الشرط والجواب حول موضوع (الحياء) وأهميته لدى الانسان، أسهمت تلك العلاقة في تماسك النص، وساعدت في توصيل قصد المتكلم، الذي يريد إيصاله للسامع.

٥- علاقة التشبيه:

يُعرف التشبيه في الدرس البلاغي على أنه ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))[٤٣]، وله مكانة الشرف بين العلاقات المساهمة في حبك النص، فهو من فنون البلاغة التي تحرك النفوس نحو معرفة المقصود بها، سواء أكان ذلك مدحاً أو ذماً، تساعد تلك المعرفة ببيان أوجه الصلة بين المشبه والمشبه به، وعلاقات الانتماء في ما بينهما هي علاقة الانسجام النصي [٤٤]. فالكاتب يلجأ إلى التشبيه ليلبس المعاني مجموعة من

الصفات الجديدة التي تثير عند المتلقي حفيظة التأثر بالصور البلاغية للعبارات، وبالمعاني الجمالية التي تحملها التشبيهات [٤٥].

من أمثلتها ما رواه **أسامة بن منقذ ((عن سعيد بن المَسَّيب [٤٦] رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: حرمة الجار على الجار كحرمة أمِّهِ))** [٤٧]. يرفع التشبيه من منزلة (حرمة الجار)، إلى منزلة (حرمة الأم)، دون الخروج بالمفردات نحو التشظي وعدم التناسق، فواضع النص يستعمل أداة التشبيه لرفع مستويات أركانها دلالياً، ليتقاربا بالمستوى المعنوي لمحتواهما.

ومنها أيضاً أن **أسامة بن منقذ** ذكر قول أحد الحكماء: **((الملك كالبحر تستمدُّ منه الأنهار، فإن كان عذباً عذُبتْ، وإن كان ملحاً ملُحتْ))** [٤٨]. تعمل علاقة التشبيه في النص على بيان صفات (الملك)، التي تشبهه بالبحر؛ لأن روافد علومه وآدابه، لهما الدور الأكبر في تصحيح مسار حياته وتصرفاته. فالتشبيه حبك المشبه مع المشبه به، ليشاركهما في الصفات، التي سيقرر القارئ مقاربتها مع صفات البحر.

ويرى الباحث أن الانسجام من أهم المعايير النصية؛ لأنه يتعامل مع النص على مستوى علاقته مع المتلقي، فما يطرحه الكاتب، يحمل في طياته الكثير من المعاني التي تؤول بحسب قارئها إلى عدة تأويلات، فليس بالضرورة أن تكون مقاصد المتكلم مفهومة، وليس بالضرورة أيضاً أن تكون تأويلات المتلقي صحيحة، وعليه سيستمر النص وجودياً، وستدوم دراسة معانيه مع الزمن، وهذا ما يدعو إليه معيار الحبك أو (الانسجام).

النتائج:

١- تمثل الحكم والوصايا المرتكز الأساس في اختيارات **أسامة بن منقذ**، وشواهد كتابه، فتجاوزت الدراسة الأبواب التي خصصها لهذين المفهومين؛ لأنه صرح في ختام الكتاب أنه حكمي وصائي.

٢- حقق الترابط الفكري والموضوعي في شواهد كتاب لباب الآداب مجموعة من العلاقات اللغوية، والبيانية، التي تجمعها أواصر التعالق الموضوعية، والترابطية المعنوية، اللّتين يكمل بعضهما بعضاً لبيان خطية النصوص، وتوضيح مدى الحبك النسيجي المحكم، إذ وظف **أسامة بن منقذ** ذلك الترابط اللفظي والمعنوي لبيان وإبراز قوة النصوص وحصافتها.

٣- تعددت في كتاب لباب الآداب مظاهر التناسق الروحي بين العبارات، التي تتطابق مع المسمى الحديث لمعيار الانسجام النصي، وهي من أهم مرتكزات الترابط المعنوي، وتعدُّ هوية الكاتب الأولى، وقت تحليل ما طرحه من النصوص؛ لأنها ستُبرز مدى سيطرته على التحكم بالألفاظ، واستساغة نسجها لديه.

٤- اهتم **أسامة بن منقذ** بتجميل عباراته، ليستحسنها المتلقي، فحرص على أن تتضمن نصوصه المختارة بياناً لعلاقة الاجمال بالتفصيل، وعلاقة السبب بالنتيجة، وعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة الشرط بالجواب، وعلاقة التشبيه؛ لأنهنَّ حققن في النص جمالية تدفع السأم عن القارئ، من خلال تنويع العبارة، وتغيير البنية الشكلية فيها، وإيجاز بعضها، مع الحفاظ على هيبة الترتيب الموضوعي واللغوي، لتحقيق قواعد الترابط والتماسك النصي.

هوامش البحث:

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١ / ٢٨١ .

(٢) سورة الذاريات: ٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ٢ / ١٣٠.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي: ٣ / ٢٦ – ٢٧.

(٥) **الالتحام:** مجموعة من الإجراءات التي تتطلبها عملية عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه. ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، وينظر: نحو النصِ بين الاصالة والحداثة: ٨٣.

(٦) **الانسجام:** هو ما يساعد في تحديد نوع الدلالة النسبية، التي تمنع الجمل من التأويل الذي ينأ بها بتأويل منعزل عن سابقاتها من الجمل. ينظر: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ٣٤.

(٧) **التماسك المعنوي:** هو هوية النص التي لا تقتصر على الترابط اللفظي، بل تعداه لدراسة وسائل ثانوية تساعد في تماسكه، تتجاوز مستوى الوسائل الصوتية والمعجمية والنحوية، إلى مستويات أعلى مثل المستوى الدلالي والمستوى البراجماتي. ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل: ١٨٤.

(٨) ينظر: مدخل الى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان: ١٢٠.

(٩) ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد: ١٠٠، و ينظر: في البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، د. سعيد عبد العزيز مصلوح: ٢٢٨، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤١.

(١٠) ينظر: في البلاغة العربية والإسلوبيات اللسانية افاق جديدة: ٢٢٨.

(١١) ينظر: حبك النص منظورات من التراث العربي، د. محمد العبد: ١٣٨.

(١٢) ينظر: كتاب عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع: ٢٠٣.

(١٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران، ابن ابي الاصبع المصري، تحقيق: د. حفنى محمد شرف: ٤٢٩.

(١٤) النص والخطاب والاجراء، دي بوجراند، ت: د. تمام حسان: ١٠٣.

(١٥) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى إنسجام الخطاب: ٥ – ٦.

(١٦) ينظر: بلاغةُ الخطابِ وعلم النص، د. صلاح فضل : ٢٤١.

(١٧) ينظر: نحو النص إتجاه جديد في الدرسِ النحوي، د. احمد عفيفي: ٩٠ – ٩١.

(١٨) ينظر: نظريةُ علمِ النصِ رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج: ١٢٧.

(١٩) ينظر: دينامية النص (تنظير وإنجاز)، د. محمد مفتاح: ٥٢.

(٢٠) ينظر: نظريةُ علم النص رؤيةٌ منهجية في بناء النص النثري: ١٣٢، وينظر: لسانيات النص النظريةُ والتطبيقُ مقامات الهمذاني انموذجا، لينده قياس: ١٣٩، وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل: ١٨٧ – ١٨٨.

(٢١) لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ٢٧٢.

(٢٢) ينظر: البديعُ بين البلاغةِ العربيةِ واللسانيات النصيةِ: ١٤٦.

(٢٣) النحو وبناء الشعر في ضوءِ معاييرِ النصيةِ (شعر الجواهري نموذجا)، د. صالح عبد العظيم: ١٨١.

([٢٤]) ينظر: التماسكُ النصي في نهجِ البلاغةِ، د. عيسى الوداعي: ٢٧٠.

([٢٥]) سورة البقرة: ٢٧. لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٢٤٤.

([٢٦]) سورة المائدة: ١١٠. لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٤٢١.

([٢٧]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ١٠. وورد في صحيح مسلم، أبو الحسين النيسابوري، تحقيق: أحمد بن رفعت عثمان حلمي القره حصاري، وآخرون: ١ / ٦٤.

([٢٨]) ينظر: علمُ لغةِ النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل: ٢٠٨ – ٢٠٩.

([٢٩]) ينظر: نظريةُ علمِ النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٤٣ – ١٤٤.

([٣٠]) ينظر: الحجاجُ في الشعرِ العربي بنيته واساليبه، د. سامية الدريدي: ٣٢٧.

([٣١]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ١٥.

([٣٢]) م. ن: ١٩.

([٣٣]) م. ن: ٣٩.

([٣٤]) ينظر: علمُ لغةِ النصِ النظرية والتطبيق: ٢٠٧.

([٣٥]) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري واثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد حسين ابو موسى: ٢٩٩ – ٣٠٠.

([٣٦]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ١٦٤.

([٣٧]) **أردشير**: اردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن، وهو الّذي أزال ملوك الطوائف، ويسمى ملكه ملك الاجتماع وكان من أعظم ملوك الطوائف بالعراق. ينظر: التنبيه والاشراف، ابو الحسن بن علي المسعودي، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي: ١ / ٨٧.

([٣٨]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٥٧.

([٣٩]) ينظر: لسانياتِ النصِ النظريةُ والتطبيقُ مقامات الهمذاني انموذجا: ١٥١ – ١٥٢، وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، عزة شبل: ٢١٢.

([٤٠]) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: ٣٣٥.

([٤١]) سورة الانعام: ١٠٨. لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٣.

([٤٢]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٢٨٥. البيتان للشاعر صالح بن عبد القدوس، ينظر: صالحُ بن عبد القدوسِ البصري، تأليف وجمع وتحقيق: عبد الله الخطيب: ١١٩.

([٤٣]) الايضاحُ في علوم البلاغةِ المعاني والبيان والبديع، القزويني: ١٦٤.

([٤٤]) ينظر: م. ن: ١٦٤.

([٤٥]) ينظر: صورة أداة التشبيه عند ابن زيدون الكلمةُ المفتاحُ، د. باسم محمد ابراهيم، منى رفعت عبد الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية / ٢٠١٦ – العدد ٦٩ : ٥١.

([٤٦]) **سعيدٌ بن المسيّب**: وهو ابن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، ويلقب بأبي محمد: وهو سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر ابن الخطاب وأقضيته، حتى سمي راوية عمر. توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي: ٣ / ١٠٢.

([٤٧]) لباب الآداب، أسامة بن منقذ: ٢٦١.

([٤٨]) م. ن: ٤٥٦.

المصادر والمراجع:

١- الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥- أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (ت٧٣٩ هـ)، وضح حواشيه؛ ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٣- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الدكتور: جميل عبد المجيد. الهيأة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٩٨ م.

٤- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للفنون والآداب – الكويت، ١٩٧٨ بإشراف: احمد مشاري العدواني ١٩٢٣ – ١٩٩٠، د. ط، اغسطس ١٩٩٢م.

٥- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، الدكتور محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي – القاهرة. د. ط، د. ت.

٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم البغدادي المتوفى ٦٥٤ هـ، تحقيق: د. حفنى محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة احياء التراث الإسلامي، د. مط، د. ط، د. ت .

٧- التماسكُ النصي في نهجِ البلاغةِ ، د. عيسى الوداعي، المركز العلمي للرسائل والأطاريح، ط ١، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

٨- التنبيه والإشراف، تأليف: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، تصحيح: دار الصاوي، القاهرة – مصر، د. ط، د. ت.

٩- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: أحمد رفعت القره حصاري، ومحمد الزعفران، وأبو نعمة الله الأنقروي، دار الطباعة العامرة ، تركيا، (١٣٣٤ هـ). ثم صَوّرها بعنايته: الدكتور محمد زهير الناصر، وطبعها ط ١، عام ١٤٣٣ هـ، لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

١٠- حبك النصِ منظوراتٍ من التراث العربي، محمد العبد؛ مجلةُ النقدِ الأدبي، فصول، العدد؛ ٥٩، ربيع ٢٠٠٢ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

١١- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط ٢، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.

١٢- دينامية النص (تنظير وإنجاز)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط ٢، حزيران ١٩٩٠ م.

١٣- صالح بن عبد القدوس البصري نحو ٧٧ هـ – ١٦٧ هـ، وجمع وتحقيق؛ عبد الله الخطيب، البصرة: ١٩٦٧ م، دار منشورات البصري – بغداد – العراق د. ط، د. ت.

١٤- صورة أداة التشبيه عند ابن زيدون الكلمةُ المفتاح: التشبيه، الدكتور: باسم محمد إبراهيم، منى رفعت عبد الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية / العدد ٦٩ – ٢٠١٦ م.

١٥- علم لغة النص النظرية والتطبيق، د. عزة شبل، تقديم الاستاذ الدكتور: سليمان العطار. مكتبة الآداب، القاهرة ، ط ٢، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

١٦- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، الدكتور: سعيد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الكويت الوطنية، لجنة التأليف والتعريب والنشر – جامعة الكويت، د. ط، ٢٠٠٣ م.

١٧- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

١٨- كتاب عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م)، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، – السعودية، د. ط، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

١٩- لباب الآداب، أسامة بن منقذ (٤٨٨ – ٥٨٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب، القاهرة – مصر، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢٠- لسان العرب، ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ). صححه: أمين محمد و محمد العبيدي . دار احياء التراث العربي، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

٢١- ينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني انموذجا، ليندة قيَّاس، قدمه: الدكتور: عبد الوهاب شعلان. مكتبة الاداب – القاهرة – ط ١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .

٢٢- لسانيات النصِ مدخلٌ الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي – بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.

٢٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٢٤- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ، ط ١، ٢٠٠١ م.

٢٥- نحو النصِ بين الأصالة والحداثةِ، احمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط ١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

٢٦- النحو وبناءُ الشعرِ في ضوء معايير النصية، (شعر الجواهري نموذجا)، د. صالح عبد العظيم، دار الحكمة، مدينة نصر – جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.

٢٧- النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، د. ط، ٢٠١٤ م.

٢٨- النصُ والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ت: د. تمام حسان، مكتبة عالم الكتب – القاهرة ، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

٢٩- نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، تقديم: الدكتور: سليمان العطار و الدكتور: محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط ١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.